رسالة مفتوحة الى الصديق البرتو فرناندیز

اعتذارك كما قلته في «الجزيرة» زاد الحقيقة تألقاً!

علاء الدين الاعرجي*

■ «ان هذا الرجل في غاية الذكاء، وهو بالاضافة الى ذلك، يتعاطف مع الهموم العربية ويقدرها حق قدرها، ولكنه لا يتمكن من البوح باكثر مما قال بحكم منصبه الحساس». هذا ما قلته لزملائي ونحن في طريق عودتنا الى نيويورك، معلقا على المقابلة والحوار معك بعد ان تفضلت باستقبالنا في مكتبك في وزارة الخارجية الامريكية، في واشنطن مع الزميل عهد البكري ، مدير «صحيفة الشرق» في الولايات المتحدة.

وقد صدق حدسي عندما سمعتك تقول من على منبر الجزيرة انه «كان هناك غطرسة وغباء في العراق» من جانب الادارة الامريكية.

لذلك اهنئك من اعماق قلبي بالنيابة عن الملايين الذين استمعوا اليك وصفقوا لك. اما الاعتذار فما هو الا شغاف شفاف وضعتُه على ذلك الجسد الرائع لتلك الغادة الحسناء المعروفة باسم «الحقيقة»، فزادها جمالا وسحرا وتألقا، فتضاعف شوق الملايين من ارواح القتلى الذين قضوا في هذه الحروب المدمرة، ومئات الملايين من البؤساء والمشردين والمظلومين والمحتقرين، الى رفعها على الرؤوس، كآلهة تبجل بل تعبد. واليك تحليل موقفك، حسب ما ارى:

1ـ ان وصفك السياسة الامريكية الخارجية بالغطرسة والغباء يصيب كبد الحقيقة، ولا سيما فيما يتعلق بسياستها في الشرق الاوسط، بعد احداث ايلول (سبتمبر) 2001 وخاصة بالنسبة للقضية الفلسطينية و للعراق. فقد زاد العداء لامريكا اضعافا مضاعفة، بسبب هذه السياسة. وبذلك تضاعفت الاخطار التي تتعرض لها اراضيها وسكانها ومصالحها. بل ازداد عدد المتعاطفين مع أسامة بن لادن، باعتباره بطلا تمكن وحده من مقارعة هذه القوة الضاربة المتغطرسة والمتجبرة. فضلا عن ان تلك السياسة البلهاء والمتغطرسة ورطتها في مستنقع الحرب العراقية، التي يتعذر عليها الخروج منه، الا وانفها في التراب.

2ـ يرى العالم النفساني المعروف، صاحب النظريات الخطيرة في التحليل النفسي «سيغموند فرويد»، ان فلتات اللسان هي احدى الوسائل التي يعبر بها العقل الواعي عن مكنونات العقل الباطن المكبوتة، باعتبارها حقائق كامنة في اللاشعور، الذي يعتبر الممثل الحقيقي لاعماق الذات، وبالتالي لشخصية الفرد الاصيلة. ومن هذا القبيل كانت فلتة اللسان التي تفوه بها الرئيس بوش، في وصفه الحرب على افغانستان والعراق باعتبارها «حربا صليبية»، فهذه كانت تعبر فعلا عن مشاعره الحقيقية الكامنة في عقله الباطن. فالاعتذار بالنسبة لمثل «فلتات اللسان» هذه، غير وارد وغير مقبول. فكأن الانسان في هذه الحالة ينكر اعماق نفسه. وقد ادرك العرب القدامى هذا الامر اذ عبر احد الخلفاء معاتبا احدهم على اعتذاره «لفلتة لسان»:، فقال

قد قلتَ ذلك ان جداً وان لعباً فما اعتذارك من قول اذا قيلا؟

3ـ انك بهذا التصريح قدمت اكبر خدمة للادارة الامريكية لانك عرّفتها على نفسها باخلاص. فالصديق الصدوق هو الذي يسدي لصديقه، او رئيسه، النصيحة ولا يخفيها. «فصديقك من صدّقك لا من صدَّقَك». ولو ارادت الادارة الامريكية ان ترفع عن نفسها هذه الصفة التي وصفتها بها، لقدمتُ لك وساما، ورقتـُك الى منصب اعلى. ولكن يبدو انها ركبت راسها فوجهت اليك ضغوطا وتهديدات بغية ان تضطرك الى الاعتذار.

4ـ انك لست الوحيد الذي اشار الى اخطاء الولايات المتحدة فقد سبقك الى ذلك عدد من المسؤولين وكثير من الكتاب ورجال ونساء الكونغرس، ومنهم رئيستك، مساعدة وزير الخارجية للشؤون الدبلوماسية كاترين هيوم. فقد قالت عن احداث الحادي عشر من سبتمبر انها كانت نتيجة «الاحباط والكراهية» ضد الولايات المتحدة. كما طلب مئات المثقفين والاكاديميين من الادارة الامريكية منذ تشرين الاول/ اكتوبر، تغيير اتجاه سياساتها الخارجية والامنية.

ونبهوا الى الكثير من الاخطاء الفاحشة التي ارتكبتها الادارة الامريكية اثناء احتلالها العراق، بما فيها فضيحة سجن ابو غريب، الامر الذي ادى الى الفشل المتواصل في الحفاظ على الامن. وقالوا ان معظم مبررات الحرب على العراق كانت كاذبة. وتوقعت الرسالة نشوب حرب اهلية في العراق، مما سيؤدي الى وضع اسوأ مما كان عليه زمن صدام حسين. وهذا ما يحدث فعلا اليوم. بالاضافة الى ما فصله فعلا الكاتب الاكاديمي كورياللي بارنت في صحيفة «ديلي ميل» البريطانية المحافظة، مؤخرا. اذ عدد حسنات حكم صدام حسين بالمقارنة مع النكبات التي تجري في العراق اليوم.

* محام وكاتب من العراق يقيم في نيويورك

بغداد: عاصمة للعمائم والموت

عبد الكريم كاظم*

■ حينما تكون عاصمة بحجم وثقل بغداد التاريخي والحضاري فيها هذا الكم الهائل من العمائم والسراويل واللحى والمفخخات والتوحش فمن المؤكد أن من يريد ترشيحها عاصمة للثقافة العربية عام 2009 انما يريد بهذا شيئين: الأول هو السخرية أو غض النظر عن طوفان الموت الوحشي الذي يصيب ابناءها جراء الغزو الامريكي وذيوله والقادمين من وراء الحدود، والثاني هو اعطاء وصفة مجانية لتجنب الحقيقة القاتلة لما يدور هناك وهذا الأمر ربما يمثل نوعا من الانكار، انكار ما حدث ويحدث الآن بالعراق. فالعلاقة المأزومة بين من يعرف هذه المدينة وما يجري بها وبين من ينظر إليها من خلال أحاديث البعض المنمقة هي التي تفسر حالة الأزمة فقد أدت الحروب المتمادية .. حروب ملوك الطوائف .. حروب الجنرالات والأحزاب التي كانت بغداد مسرحاً لها إلى تغيرات عميقة وشاملة في التركيبتين الجغرافية والاجتماعية لهذه المدينة، مثلما أفضت هذه الحروب إلى دمار شامل طاول مجمل مرافق بنيتها التحتية ثم اختطفت المجتمع واطلقت عنان الغرائز.

تساءلت مع نفسي وأنا أقرأ مقال الروائي العراقي الأخ الفاضل عبدالرحمن مجيد الربيعي المنشور في صحيفة «القدس العربي» يوم 16ـ10ـ2006 (صفحة أدب وفن والمعنون: أي ثقافة في العراق المحتل لتصبح بغداد عاصمة لها) والذي يتوافق بعض الشيء مع ما أفكر به .. أقول تساءلت عن مدى صحة الخبر الذي يقول: اختيار بغداد عاصمة للثقافة العربية!! وأعترف أن للخبر إغراءه لكنه أيضاً قد يكون مضللاً ـ بغض النظر عن ماهية المصدر ومصداقيته ـ وعندها يتحول اليقين إلى شك يشي بما لا يقوله الخبر وعندها أيضاً يكون الخبر (برق خلّب) كما قال شاعرنا العربي وما أن يبدأ القارئ بتذوق متعة الخبر حتى تتلاشى المتعة أكثر فأكثر إلى درجة أن القارئ قد ينزلق إلى أقصى حدود اليأس بدلاً من التفاؤل فضلاً عن عدد آخر من الحكايات الضمنية، وهذا يعني أننا لا نزال داخل لعبة التمويه اللغوية لذلك تظل الحاجة قائمة إلى اليقين من داخل اللغة ليدفع بها إلى آفاق جديدة.

لا تتلقى بغداد التأثيرات التي تتلقاها أي مدينة أخرى بما هي مدينة جميلة مفتوحة على نافذتي العلم والأدب .. إنها عاصمة لا تخبو وجاهزة للانبثاق مجدداً متى تأمنت لها مقومات الانطلاق والمفارقة الآن التي تبدو لنا للوهلة الأولى متأتية من اختيارها في هذا الوقت والذي جاء متأخراً جداً مع أن الدافع إليه كان تسليط الضوء على الموت الذي تعيشه على مضض وبصبر كبير هي وابناؤها. وبما أن الموت يأتيها من كل الجهات كما قلنا ذلك مراراً عبر موجات القصف والتفخيخ والذبح فإن مرأى المدينة وهي نائمة على طاولة الذبح العالمي والإقليمي والمحلي يصبح قاتلاً ومفجعاً في آن معاً إلا أن هناك مسافة فاصلة بين مشهد الموت كأداة بغيضة بدائية وبين فعل الحياة كممارسة خرافية، فبغداد ليست مدينة مجردة إنها امرأة تتماهى بين أن تكون ملاكاً له عينان تتوهجان أو روح تقطن المكان منذ زمن قديم كما انها لا تشبه المدن على أي حال من الأحوال، ربما لأنها محكومة لموقعها على حافة الموت دائماً أو تبعاً للاحتلالات التي تعرضت لها عبر التاريخ ومع هذا سرعان ما تعود لصناعة الحياة وصياغتها.

هل بامكاننا الكلام على سياسة ثقافية للعراق في ظل الاحتلال؟

اذا كان بمقدورنا تحديد سياسة ثقافية جديدة في ظل الاحتلال والحديث عنها علينا الاجابة على المشكلات الكثيرة الكبيرة المستعصية التي تحيط بها وبنا فلا يجوز الاستنتاج ان الموقف الفردي للمثقف العراقي إزاء موضوع الاحتلال مستنداً إلى موقف مسبق يجري تطبيقه تحت اشراف جهاز حكومي مصطنع أو غائم لا يمتلك الوسائل الضرورية لتفعيل الحياة، فالمواقف العامة أو الخاصة منها كانت ولا تزال تنضح تباعاً لكن المداخلات تتكاثر وتتنوع وسائل المد والجزر ونشير هنا إلى نموذجين للكتابة في هذا المجال أحدهما شديد الوضوح والآخر كثير التفاؤل ولا ضير في هاتين الحالتين ولكي لا تنحسر الثقافة في الزاوية الضيقة نتيجة للتراشق الكلامي الحاد الذي يحصل هنا وهناك بين آونة وأخرى.

لا يمنع من القول ان العامل الثقافي بحد ذاته لم يكن جديداً على هذه المدينة فالتاريخ البعيد والقريب يؤكد بوضوح ساطع أن المؤسسات الثقافية بكافة أنواعها كانت تتخذ من بغداد مزاراً لها، وبمعزل عن هذا التصنيف النوعي فإن التوسع الثقافي في هذه العاصمة التاريخية لعب دوراً بالغ الأهمية على مر العصور وذلك ضمن التطور المتميز للثقافة العربية في كافة جوانبها فمن الطبيعي جداً ظهور هكذا ترشيحات تجبر من يريد لهذه المدينة الموت العودة إلى الوراء قليلاً لاستعادة شخصية (سنمار) من جديد .. وأن تعود إلى عهدها الذهبي حيث الحراك الثقافي والمعرفة والتجارب الأدبية ـ الفنية المغايرة فلا زالت هذه المدينة وعشاقها من الكتاب والفنانين والمفكرين ترى من واجبها/هم حماية هذا الامتياز الثقافي ـ الحضاري لتطويره وتخليصه أيضاً من الدخلاء والمعممين وصانعي الموت وهنا تكمن المغامرة الكبرى عند تقديم جواب متسرع على السؤال المطروح أعلاه: هل ستكون بغداد عاصمة للثقافة العربية؟ الفرضية الأولى في هذا السياق تكمن في فهم الوجود الثقافي العراقي في هذه المرحلة الحرجة وانطلاقاً منه علينا أن نتفحص مدى فاعلية كل ما يُكتب وينشر في الصحف والدوريات فمن بديهي القول ان من شروط الثقافة والمعرفة من حيث الاكتساب والإيصال والاستخدام أن يتم التركيز على اللغة الرصينة .. المشاكسة .. المتجددة لا المتداولة لأنها تمثل أساس الهرم الثقافي، لكن السؤال الأهم برأينا هو التالي: كيف نحدد موقفنا الأخلاقي والإنساني من الاحتلال في هذه المرحلة الشرسة المتشابكة خصوصاً ونحن نتعامل مع الكلمة؟ فبعض الذين كتبوا ويكتبون يدرجون ـ للأسف ـ تحت خانة (المع والضد أو بعض المسميات الغريبة والنعوت الغرائبية) التي تخضع للمزاجية .. أو تلك التي تدعو لتصفية الحسابات القديمة على غرار تلك الصرخة الملازمة لكل عهد .. بالثارات بدر، وهناك من يحاول السير مع ظاهرة تجميل الحقائق أو التفاؤل التقليدي وحتى الطريقة التي تستخدم في تجميل الحقائق يصبح من الصعب جداً التفريق خلالها بين الارقام المدونة للموت وتلك التي يعلن عنها .. فالارقام المعلنة هناك والتي يُعلن عنها هنا لا تعطي تقديراً صحيحاً للموت المنهجي اذ يترك قسم كبير من الارقام، بطريقة متعمدة، وتبقى اسماء مسجلة في لوائح مجهولي الهوية بمعنى أن تلك اللوائح لا يمكن أن تكون دون الرقم الحقيقي للموت بل مبالغ فيها كثيراً وعلى الرغم من جميع التحفظات لا بد من نماذج أخرى تشير إلى حقيقة ما يحدث بمنتهى الجرأة والمسؤولية، وهكذا سيكون الأمر بالنسبة لموضوع الثقافة بغالبيتها الساحقة المسكونة بذلك المجهول الذي يتمدد على مساحات واسعة تستحضر الموت اليومي في البلاد.

إن الأهمية التي بدأت توليها (الحكومة العراقية الجديدة) لتعزيز وجودها السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي والأمني الفاشل في البلاد قد انعكست مباشرة على شكل إعادة إنتاج الوثن الذي يقضي بإنشاء منظومة عبادة الشخصية الموروثة والمرتبطة بالماضي اللعين، كما أنيطت بها صلاحيات توزيع شهادات حسن السلوك والبراءة حتى بات من المؤكد أن العامل الثقافي كعامل قوة في انتشار نفوذ الطوائف والأحزاب والمليشيات بدأ يتزايد على كافة الصعد ولدى قطاعات واسعة منتشرة هنا وهناك في الداخل والخارج .. كلها عادت لممارساتها السابقة وهذا الأمر لا يندرج في إطار العمل داخل المؤسسة الحكومية فحسب بل يتعداها كثيراً وبهذا أصبحت الحياة الثقافية شديدة التقلب تبعاً لموقع هذا الحزب أو تلك الطائفة في ميزان القوى السياسية العاملة في السلطة وهو ميزان متقلب باستمرار سيقودنا مرة أخرى إلى سيطرة السياسي على الثقافي بشكل واضح تبعاً للمظاهر الكثيرة الدالة عليه .. إنه اتساع كبير دون شك، لكنه بالغ الهشاشة لذلك لا يمكننا الكلام عن سياسة ثقافية عراقية في ظل الاحتلال والعمائم والموت.

علينا أن نعي هذه المرحلة التي يُفترض أن تكون الثقافة فيها .. أعلى صوتاً، وأعرض مساحة وأوسع مدى وأعمق ذهاباً في أرض الواقع وآفاقه فلا وجود لكابح أمريكي هنا أو رقيب معمم أو يساري قديم بات مروجاً كبيراً للرأسمالية أو (مناضل) محبط متقاعد هناك قد يعيدون، بممارساتهم العبثية، ثقافة الصوت الواحد من جديد.

وأخيراً أقول: إذا كانت رؤيتنا لهذا الموضوع قد تغيظ البعض فلا بدّ على هذا البعض أن يقبل بفكرة .. ان الأعتراف بحق الاختلاف هو قاعدة حضارية للتعايش والتواصل.

* شاعر من العراق يقيم في المانيا

الحرية وعشاقها في القلب

علي كنعان*

■ ميشيل (أبا أيهم) أيها الوطني الحر العزيز، لم يسمحوا بالفرحة أن تصل الى باب الدار. ويوم قرأت خبر القرار المنتظر باسترداد حريتك ومغادرة المعتقل، فكرت بكتابة مقالة أبدؤها بالعبارة الآتية: «اليوم، مع اشراقة شمس الحرية على العزيز ميشيل كيلو، بدأ الرئيس السوري الشاب مسيرة الاصلاح في بلادنا، ولا بأس أن تموت بغيظها خفافيش الظلام وزبانية الأقبية والأغلال...». لكنهم سرعان ما عمدوا الى اغتيال البشارة ودفنها في دهاليز البيروقراطية والعسف والطغيان. وكان على أخيك، هذا العجوز المشتاق، أن يلوك ليل الغربة القاسي كما تعاني أنت هنالك ليلك «الوطني» الطويل بلا شمعة ولا وميض نجم بعيد.

لن أستسلم للشجن العاطفي الجريح، فالموت الفلسطيني اليومي.. وجحيم العراق المتمادي في صراع الاخوة الأعداء.. والتآمر الغاشم على صمود الجنوب اللبناني العظيم واستجراره الى بازار المساومات الرخيصة الجارية مع الامريكان علانية أو في الدهاليز والأنفاق الخفية، هذه الطعنات الموجعة والمغيظة لا تبيح مقاربة أي ترف شخصي دخيل. لكني سأستعرض بعض المحطات المضيئة التي جمعتني بالأستاذ ميشيل خلال أربعين سنة من المودة الحميمة المتواصلة، وأنا أتأمل باعجاب ما يمتاز به من عشق للوطن وحريته والتزام بالقيم والأخلاق ودأب يومي في الاطلاع والعمل وتوهج فكري وذاكرة مشرقة، وهذه مزايا قلما تجتمع معا الا لدى نفر قليل من المثقفين، لا يتجاوز عدد أصابع اليدين على امتداد الوطن العربي الكبير.

يوم عاد ميشيل كيلو من دراسته في ألمانيا، طاب لنا أن نتعارف معا في احدى الصحف اليومية التي كنت أعمل فيها تحت اشراف المناضل العربي المعتقل (أبو زياد) طارق عزيز ـ فك الله أسره وعافاه. ولقد تعلمت من هذين المناضلين، وكان ثالثهما المسرحي المتألق سعد الله ونوس، ما لا يمكن أن أنساه ما حييت.

لم يكن الفكر الماركسي جذابا لنا، نحن أبناء الريف البدوي الذين جاءت بهم جامعة دمشق الى العاصمة. وكان لذلك الشاب اليساري المستنير دوره الكبير في تنبيهنا الى أهمية ذلك الفكر العلمي وتوجيهنا الى ضرورة الاطلاع عليه والتزود بالقدر المتاح من ينابيعه. ومع أن هزيمة حزيران (يونيو) صعقتنا وأحدثت في نفوسنا جميعا شرخا عميقا، دفعت بكثير من أبناء جيلنا الى فردوس الماضي الزاهي ليحتمي في أحضان التاريخ البطولي المشرق، كما يلوذ الأطفال الخائفون بأحضان الأمهات، الا أن ميشيل كيلو وقلة من أمثاله حافظوا على تماسكهم.. وكانت مواقفهم وكتاباتهم وأحاديثهم عونا لنا على تخطي حالة اليأس والنكوص والاحباط.. ودفعتنا الى الانخراط في اعلام المقاومة الفلسطينية الناشئة والمتصاعدة في دول الطوق.

ان قواعد العمل الفدائي، ولا سيما في لبنان، تعرف ميشيل كيلو ونشاطه في تلك السنين الهامة أكثر من جميع الأسماء التي مرت في قيادة «البعث العربي الاشتراكي»، في سورية والعراق معا، على مدى العقود الأربعة الماضية، وهي أسماء موسمية لمعت وانطفأت قبل أن تسخن الكراسي تحت أصحابها.

من هنا تأتي أهمية اعتقال ميشيل كيلو ورفاقه وضرورة اسكات أصواتهم القوية لأنهم يشكلون خطرا على دعاة الحل الاستسلامي الخانع الذين أعلنوا في محراب بوش الأب والابن معا أن «السلام خيار استراتيجي»، ولو بتقبيل أيدي الأعداء وفتح البلاد لاقامة قواعدهم العسكرية وطغيان رأسماليتهم المتوحشة، بينما كان ميشيل يقول: «ان أمن الوطن وتحرير أرضه وحرية أبنائه...». هو الذي ينبغي أن يكون الخيار الاستراتيجي، ثم تأتي سيادة القانون وتحقيق الحريات الديمقراطية مطالب مرحلية لازمة وملحة.. ولا بد من الاستجابة لها.

وهنا، لا بد من التذكير بعدد من جيل أساتذتنا الذين شكلوا منارات فكرية ونضالية كبرى.. كان ميشيل كيلو وعبد الرحمن منيف وسعد الله ونوس وبرهان غليون وصادق جلال العظم والطيب تيزيني ومنير شفيق وعبد الرزاق عيد وناجي علوش وآخرون.. امتدادا ديموقراطيا لهم. ومن هؤلاء الأساتذة/ المنارات: الياس مرقص، ياسين الحافظ، مهدي عامل، حسين مروة، نديم البيطار... ولعل رياض الترك وجمال الأتاسي ومصطفى رستم وعمر قشاش وفايز الفواز.. في قيادة الأحزاب المقموعة ممن ينبغي أن نذكرهم بلا تردد في هذا السياق.

الياس مرقص هو الذي قاد معارك النقد ضد دوغمائية الأحزاب البيروقراطية، القومجية والستالينية على حد سواء، وقد رحل عشية الغزو الامريكي الأول على العراق.. ولم نملك يومئذ أن نسكب لرحيله دمعة أسى أو نوجه اليه تلويحة وداع. وكم استأنسنا باسترجاع أفكاره بعد الرحيل. ولا يمكن أن أنسى مقولته في آخر سهرة لنا معه: «لنتذكر أن جماهير حزب البعث.. هم أكبر تنظيم في المعارضة السورية»!

ومرة سألت ميشيل: لو استلم الحزب الشيوعي السوري دفة الحكم بزعامة خالد بكداش، مثلا، هل كنا في منجاة من الدكتاتورية والاستبداد؟.. وكان الجواب أن أمور البلاد لا يمكن أن تكون أفضل أو أقل سوءا، لأن المناخ واحد والعقلية متشابهة.

وميشيل كيلو المثقف كتب الرواية التي لم يتح لها أن ترى النور لأن التجربة الأولى (ضاعت) أو (جرى اختطافها). واذا استطاع الكاتب السجين أن يعيد كتابتها فسوف تكون علامة بارزة في تاريخ الرواية العربية في بلاد الشام. وقد عمل في وزارة الثقافة وترجم عددا هاما من الكتب، فضلا عن استمراره في كتابة مقالاته السياسية في عديد من المنابر التي كانت متاحة له: «السفير»، «الكفاح العربي»، «النهار» في لبنان، وجريدة الفلاحين في سورية.

لن أتحدث عن تجربتنا المشتركة، سواء في اتحاد الكتاب أو في اصدار البيانات السياسية التي كانت ترفعها قيادة الحزب والسلطة في وجه مبعوثي البيت الأبيض كأبرز علامة على تسامح النظام ومناخه الديمقراطي. لكن لميشيل تجربته المعروفة في السجن، سواء في أوائل الثمانينات أو في أيامنا «المباركة» هذه. وأنا واحد من الذين لا يفهمون كيف يسعى قادة النظام في سورية، باستماتة، الى مراضاة الوحش الامريكي وعقد صلح مع العدو الصهيوني وهم عاجزون حتى عن احتمال كلمة وطنية واحدة تطالب بالحرية وسيادة القانون وفتح المجال لسماع الصوت الآخر؟!

هذا السؤال البسيط، على ما فيه من وجع ومرارة، لا يخطر في رؤوس قادة أحزاب «جبهة المرسيدس» لأنهم منهمكون حتى الهوس الهستيري في اقتناص الملذات والامتيازات والمكاسب قبل أن يطلع الفجر ويقضي بزوالها... من دون أن نرجو زوالهم معها لأنهم سيكونون «فرجة» ممتعة للناس.

واذا كانت هذه المخلوقات الهلامية، المنشورة على سطوح أحزابها الكرتونية، لا تستحق منا أكثر من هذه الاشارة العابرة، فأنا لا أملك الا أن أتساءل عن مصير العدالة في سورية.. والى أي هاوية جرفوها؟ ولا بد أن أسأل «فضيلة» القاضي الذي طلع مزهوا بحكمه القراقوشي الأخير: «أي ضمير متفسخ تحمل في جنباتك الظلمة، يا صاحب العدالة المغدورة؟!» ولنفترض جدلا أن أحدهم أملى عليك ذلك الحكم وأمرك بتنفيذه مكرها، ألا تحمل في أعماقك أثرا من شرف الانسان وكرامة المواطن وعزة النفس العربية؟ أم أنك قبضت الثمن سلفا كأي نخاس منقوع بالفساد؟!

ميشيل كيلو ليس وحيدا في المحنة، بل معه أحرار مناضلون كثيرون من عشاق الوطن ومنارات الحرية... ولا بد أن يخرجوا قريبا من ظلمات السجون وغياهب المعتقلات. ليس من المقبول ولا المعقول أن تستمر الأمور في مثل هذه الصيغة الجهنمية من المهازل الفاجعة. هذه ليست سورية، حاملة قضية فلسطين وتحريرها ورافعة شعلة الكفاح والتقدم منذ اسقاط حلف بغداد، وانما هذه مزرعة مستباحة من العصابات التي عملت على تخريب تلك الوشائج التاريخية الحميمة بين سورية ولبنان، وهي اليوم أخطر المعاول المستميتة لتقويض صرح انتصار الجنوب اللبناني، رغم الأقنعة الزاهية والكلمات المعسولة التي تملأ محطات الأرض والفضاء.

* شاعر وكاتب من سورية

لا ترفع رأسك فما زلت سعوديا؟

طلال الغامدي*

■ إن طبيعة الحكومات والمماليك الفاسدة (النظام السعودي مثال) دائماً تنتهك كرامة الشعب وتستبده وتقمعه ويكون مصيره السجن والوعد والوعيد بالتعذيب بل تحرم عليه التفكير والارتجال بآرائه والانخراط في المعارضة السلمية والمواجهة كي تجبرهم علي الخضوع، هذا بالضبط ما يعانيه شعب الجزيرة العربية الذي صغُر بعينه الوطن وفقد قدسيته يشعر المواطن فيه بالرخص فبغير الحرية لا يهنأ له عيش ولن يجد حياة كريمة، أصبح المواطن في العربية السعودية ما بين الحلم والألم والأمل في إيجاد وطن يحتضنه كفرد مستقل ينعم بالحد الأدنى بالخصوصية والاستقلالية بالرأي والفكر والثقافة والمذهب الديني أيضاً كباقي شعوب الأرض، كذلك العمل الجماعي من خلال المؤسسات المدنية التي تحتضن جهودهم للنهوض بالتنمية الحضارية للوطن (وأي وطن) هذا الذي سجنا فيه وأصبحنا نحاسب علي أفكارنا وآرائنا وما نتحدث به ونكتب، (هذا الوطن) كل ما فيه زور واحتكار واستعمار داخلي ووصاية ورقابة غير مشروعة لا قانوناً ولا أخلاقاً فتهمش على اثر ذلك كله الوطن والمواطن. في الوقت الذي تتباهي فيه الأمم بما تقدمه لشعوبها من حرية سياسية واجتماعية ودينية بمختلف انتماءاتهم التعددية وتنظم لهم مؤتمرات حوارية وتفتح لهم المجال بالانخراط في مؤسسات مدنية تسهم بالنهوض بالمجتمع وتحديد معوقاته وتلافي أسبابها، فرض النظام السعودي منهجه الاستبدادي والتعسفي غير الأخلاقي لتهميش المواطن تحت ذرائع عدة تارة باسم الدين وتارة أخرى باسم الوطن والمواطنة وتلافي زرع الفتن التي قد تقوض أركان الدولة فاستخدم الذريعة الأولي لشرعنة منهج حكمه الجائر والثانية لتصفية معارضيه وكل من يخالفه وزجهم في غياهب السجون، هكذا كان الحال وما زال لنظام جعل من اليوم الوطني له وليس نحن شعار «ارفع راسك أنت سعودي» ثم يتكرم النظام ويعلن أن هذا الشعار سيستمر حتى نهاية صيف عام 2007 م، على أن تقوم المخيمات الصيفية والمهرجانات أيضاً تحت نفس الشعار، لم يخجل النظام من أن يخبرنا بأنه علي مدى عام كامل قادم سيذكرنا باستبداده لنا ليغيبنا فكرياً وثقافياً عن ما نحن عليه ويطمس اختلافاتنا التعددية والثقافية والمذهبية ويختزلها بشخصه الذي لا يمت لنا بصلة لا تاريخية ولا حتى جغرافية كيف أصبحنا (سعوديين)؟ ولماذا أصبح الهامش (المقصود بالهامش هنا النظام السعودي) أساسيا بينما اختفى فينا الأساسي كعرب ومسلمين وأصبح مهمشا؟

همّش النظام تنوعنا وتعددينا الثقافية والفكرية والمذهبية والقبلية وعمل من خلال آليات قهرية استبدادية ليحقق انسجاما لن يتحقق فتباينا واختلافا ليس لها حل سوى الحرية وكفل الحقوق التي كانت خيار الشعوب الأخرى لحل مشكلة التباينات فيما بين أفرادها وليس القهر السياسي الذي ينتهجه النظام السعودي وسخّر وسائل إعلامه لنشره وتلميعه وكل مرتزق بقلمه ليقنعنا به.

إذا كان النظام السعودي كما يدعي نظاما شرعيا وإسلاميا (هو ليس كذلك إلا من خلال متسولي الفتاوى علي موائده) فليخبرنا هذا النظام منذ متي كان الدين الإسلامي قوامه أن يكون المجتمع خاليا من الانتماءات المتعددة والمختلفة الفكر والثقافة وممارستها، للدين الإسلامي شواهد كثيرة في احترام تعدد الأديان والأفكار ولم تكن شواهده توحي لقهر الناس من أجل انتماء خاص لصالح انتماء آخر سياسيا كان أو حتى دينيا.

إن ما يفعله النظام السعودي جريمة بحق الوطن والمواطن من خلال مقياس واحد يتشارك الجميع به ويقصي خصوصيات المواطنين ويدحر حقوقهم في انتماءاتهم وتعدديتهم التي تعد مصدر قوة للوطن الحضارية والتنموية، ما يمارسه النظام السعودي نوع من القهر للبعض، ثقافة تمايز تهدم ولا تبني فالمواطنة الحق تكفل للجميع حقوقهم من خلال سنّ قوانينها الدستورية لا الاستبدادية والإقصاء كما فعل النظام السعودي.

لا يجب أن تكون الانتماءات الدينية والفكرية والثقافية والجغرافية وغيرها مصدر رضا أو غضب من قبل الحكومة تزداد أو تتناقص من أجلها في واقعنا اليومي وتنتهك حقوقنا بأسبابها كما يُفعل بنا في العربية السعودية.

إن الثقافة السياسية يجب أن تعزز قيم الأفراد واختلافاتها وتعمل علي إعلائها حتى توفر الانسجام لها، إن الحقيقة السياسية في واقعنا المعاصر لا تبنى بالشعارات الزائفة ذات المسميات الكبيرة التي لا تغير من واقعنا شيئا خصوصاً وأنها لا تدخل تحت مظلتها ولا تقبل جميع التباينات كمصدر تحد وقوة بذات الوقت للنهوض بجوانبها المختلفة السياسية والاجتماعية والعملية والعلمية وقبل هذا وذاك الإنسانية، هذه القوة لا تنجز ولا تحقق الغاية منها بتلك الشعارات التي تلغي الوعي والحكمة والتفاعل بين الأفراد للرقي بالمكانة حتى يتعزز من خلالها الفراغ السياسي والاجتماعي معاً. فالمواطنة لا تتحقق في ظل الكبت والطغيان والإقصاء للأفراد والجماعات بل بالعدالة السياسية والاجتماعية وكف اليد عنها وإطلاق العنان للخصوصيات والانتماءات وتقبلها كحقيقة اجتماعية واقعة ويتعدى الأمر ذلك بتوفير الأجواء لها وعدم

خذلان أفرادها أو إلغائهم حتى تحقق التحولات الجذرية المنوطة بها من مجمل الأطروحات الفكرية دون الاستبداد بأحدهما لأنه وافق أو حقق هوى وغاية السلطة الحاكمة المتصلبة دون الصالح العام، هذا التصلب وهذه النظرة الجامدة المغالاة تحتكر لنفسها صواب الرؤية وتخطئ الآخرين وتتخطاهم وهذا ما يجعل المجتمع مجتمعا ثابتا جامدا تختفي فيه الديناميكية المجددة للفكر والاتجاهات والرؤى حيث يستشرف المواطنون مستقبلهم ويراجعون ماضيهم ويفاخرون به وكذلك ينتقدون ذواتهم.

لم يقدر النظام السعودي مقدار الكارثة التي وضعنا بها (كعادته) بل تصلب بأفكار ومارس طغيانا سيجر مشكلات لدى الأفراد داخل المجتمع، فالمعطيات السياسية لا توحي بأن وحدة الوطن تتحقق من خلال ذوبان وانصهار التيارات والانتماءات المختلفة داخل الوطن الواحد بهذه الطريقة الاستبدادية التي تجهزنا للانفجار بعدم قبول تعدديتنا وانعدام حواراتنا وما تتضمنه، ولم تجسد لنا مقدار اشتراكنا والتفاهم والتعايش بين الأفراد والجماعات المختلفة المتكون منها المجتمع بل طوّر النظام السعودي بدل ذلك مؤسسته التي احتكرت المعيار الوحيد والقيمة الأولى والأخيرة وهذا هو عُمق الاستبداد ومنتهى السيطرة على الإنسان الذي تحتكره فئة صغيرة على قدرات ومقدرات الجماعة بأكملها وتهميش التعددية والتفكير والعمل المستقلين وهي الأمور التي تبني مجتمعا حقيقيا في ظل نظام سياسي عادل وهذا ما لم يحدث حتى اللحظه في العربية السعودية.

خلاف ذلك كله وبعده هل سيبقي الشعار السابق الذكر كما هو؟ كلا بل سيكون لنا نحن الذين نعاني تحت وطئه هذا الظلم الجائر شعار خاص بنا وهو «لا ترفع راسك فما زلت سعوديا»، أنا كذلك فلا أرى أنه من المشرف لي ولا لتاريخ الجزيرة تلك التسمية التي ألصقت بنا بهتاناً وفرضت علينا ولم تكن من اختيارنا.

* كاتب من جزيرة العرب/الرياض

اسرائيل في أربعينها الثانية

سهيل كيوان*

■ في طفولتنا كان رجل في القرية يجمعنا حوله ويحكي لنا عن بطولاته في حيفا التي يعمل فيها، فعندما تعرض لمضايقات بعض الزعران اليهود اتصل بالاسعاف قبل بدء المعركة وطلب عددا من السيارات لاستيعاب الجرحى، وما ان وصلت السيارات حتى بدأ بالرفس واللكم والصفع ليملأ سيارة فتحل محلها أخرى وهكذا حتى وصل عدد الجرحى الى الرقم السحري أربعين، وطبعا صدقناه بل وصرنا ننظر اليه كثاني أقوى رجل في العالم (بعد محمد علي كلاي)، وحكى لنا مرة انه قطع البحر سباحة من حيفا الى عكا عندما فاته الباص في اللحظة الأخيرة! وليس هذا فقط، فقد وصل الى عكا وانتظر الباص نفسه وحين وصل سأله السائق المندهش «انت! ألم اتركك ورائي في حيفا؟».

وفي يوم ما وكنا في كروم التين بعيدا عن القرية قال لنا تعالوا يا أولاد انظروا الى كومة الرماد هذه! انه رماد الذئب الذي قتلته وأحرقته! قبل أشهر التقيته في الشارع وقد تجاوز السبعين، وما ان رآني حتى قال لي بشفتين مرتجفتين والله اذا زادها سأكتفه بحبل وألقي به في الوادي للوحوش! ضحكت وعانقته وطبعت على خده المتهدل قبلة! ولكنه استمر بسرد تفاصيل القصة التي ربما ألفها على الفور وراح يرويها لي بعد أكثر من أربعين عاما على حادثة سيارات الاسعاف الشهيرة!

تذكرته قبل أيام عندما وقف نتنياهو رئيس الحكومة الأسبق على منصة الكنيست في احتفاء بالذكرى الخامسة لاغتيال رحبعام زئيفي الترانسفيري ، نتنياهو قال في كلمته انه عندما كان زئيفي وزيرا في حكومته كانا على تفاهم تام، وأضاف انه كان من أفضل وزرائه وكانا متفقين في كل القضايا الخ .. وعندما انهى كلمته لفت بعض اعضاء الكنيست انتباهه الى ان زئيفي لم يكن ولا مرة وزيرا في حكومته بل كان في المعارضة! ولم يعدم بيبي وسيلة للتخلص من الاحراج لان الكذب هو أسلوبه أصلا، ومن كذباته الشهيرات ادعاؤه في لقاء مع «يديعوت أحرونوت» انه كان مع شارون في نفس ناقلة الجنود على الضفة الغربية لقناة السويس في حرب اكتوبر 1973، ولكن سرعان ما تبين انه لم يلتق بشارون في حياته الا في مؤتمرات حزب الليكود وفي الكنيست، بعد هذا قال ان مسؤولين ايطاليين عرضوا عليه ان يكون مستشارا اقتصاديا لايطاليا و